قرآنيكا، مجلة عالمية لبحوث القرآن
عدد خاص (12)، سبتمبر 2024م. ص 231-269

© 2024 مركز بحوث القرآن
جامعة ملايا، ماليزيا

# حق المؤمن على المؤمن في القرآن الكريم والسنة النبوية سورة الحجرات انموذجاً(*)

عفاف عطية الله المعبدي[1]

***(Believers' Right Toward Each Other's in the Holy Quran and the Sunnah of the Prophet, Surat Al-Hujurat as an Example)***

**Afaf Attiatallah Almoabbadi**

## ABSTRACT

This study aimed to explore Surah Al-Hujurat, highlighting the rights and responsibilities it establishes among believers towards one another. The research problem is rooted in the current global situation where believers often violate each other's rights, exacerbated by the widespread use of social media platforms that promote falsehoods and rumors, fostering mistrust and suspicion among Muslims. This has led to deepening divisions within the Muslim community under the guise of religion. The researcher employed an analytical inductive method to examine the verses of Surah Al-Hujurat and extract the rights of believers from them. The study yielded several significant findings and recommendations, among which are: Surah Al-Hujurat emphasizes the necessity of safeguarding mutual rights among Muslims, with the imperative form appearing in 27 instances to underscore the importance of integrating these ethical guidelines into the behavior and interactions of believers. Among the rights derived from the Surah is the need for verifying news, refraining from hastily accepting reports, promoting reconciliation among believers during conflicts based on justice and truth, avoiding negative assumptions, baseless accusations, spying, backbiting, and exposing each other's faults. The study recommends the comprehensive examination of Islamic morals and ethics across all Quranic chapters and incorporating these teachings

(*) This article was submitted on: 8 November 2023 and accepted for publication on: 06 September 2024

[1] الأستاذ بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى

Professor At College of Da'wa And Islamic Fundamentals At Umm Alquran University
Email: afaf.al.moabadi2@gmail.com

into educational curricula to nurture a generation raised on the ethical principles and divine guidance of the Quran.
**Keywords:** *Rights, Believer, Surah, Al-Hujurat.*

## ملخص

هدفت الدراسة إلى التعريف بسورة الحجرات، وما انطوت عليه من حقوق وواجبات على المؤمن مع أخيه المؤمن. تكمن المشكلة البحثية في الحالة التي يعيشها العالم اليوم من انتهاك المؤمن لحقوق أخيه المؤمن، ولا سيما بعد انتشار وسائل التواصل الاجتماعية التي تروج للكذب والشائعات، وتعمل على تنامي الشكوك ومظاهر فقدان الثقة بين المسلمين؛ حتى أدَّى إلى تفاقم الانقسامات بينهم باسم الدين. اتبع الباحث المنهج التحليلي الاستقرائي في تتبع آيات سورة الحجرات واستنباط حقوق المؤمنين منها، وقد توصل الباحث إلى عدد من النتائج والتوصيات، كان من أبرزها: تضمنت سورة الحجرات وجوب حفظ الحقوق فيما بين المسلمين، ورد الأسلوب الإنشائي في السورة في 27 موضعا حتى تكون ما تضمنته من آداب وحقوق أمكن في سلوك وتعامل المؤمنين، من حقوق المؤمن على أخيه ضرورة التثبت من الأخبار وفحصها، وعدم الاستعجال في تصديقها، ضرورة الإصلاح بين المؤمنين حال الخلاف والنزاع بناءً على موازين العدل والحق، اجتناب الظنون السيئة والتهم الباطلة والتجسس وغيبة بعضهم بعضاً وتتبع العورات. أوصت الباحثة بضرورة دراسة الآداب والأخلاق الإسلامية في سور القرآن كافّة وتضمينها المناهج الدراسية حتى ينشأ جيلٌ مربيًّاً على أخلاق القرآن وتوجيهاته الربانية.

**كلمات دالَّة:** حقّ، المؤمن، سورة، الحجرات.

## 1. المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المصطفى الأمين وبعد:

خلق المولى –سبحانه وتعالى– الناس متفاوتين في اللون والجنس واللغة ضمن دوائر وحقوق كقواسم مشتركة في ديمومة بقاء الجنس البشري وبقاء أواصر العلاقات الإنسانية والاجتماعية ما دامت أنفاس الحياة، بل ورتَّب المولى سبحانه للمسلمين أجراً وثواباً تحفيزاً وترغيباً على استمرارية تلك الأواصر؛ قصداً في تأليف القلوب، وتوثيق الروابط، وتماسك بنيان المجتمع بالتقارب والتوادد، وحتى ينشأ أفراد المجتمع مطبوعاً بمكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال.

لقد بُعث النبي صلى الله عليه وسلم بمكارم الأخلاق، وقيام الفرد بالحقوق المناطة في ذمته لغيره تحقيق للبعد المركزي لمنظومة القيم الأخلاقية التي لا يمكن للإنسان العيش بإنسانيته إلا بها؛ فالوالدان والزوجان والطفل والكبير والجار وأخوك في الإنسانية والإسلام لهم وعليهم حقوق؛ وبهذا تستقيم الحياة، ويهنأ الناس باختلافهم انتماءً وثقافة العيش فيها.

الحقوق هي وقود الحياة، بغيرها تصير الدنيا بأيامها ولياليها بلا قيمة، ومع أهمية القيام بالحقوق إلا أنَّ الإنسان قد يُشغل عنها أو عن بعضها لجملة من الأسباب والملهيات، وقد يتناسى أهمية تصحيح مسار علاقاته مع من حوله؛ فتمر ساعات يومه وأيام عمره فتزداد الفجوة بينه وبين أخيه المسلم، ولربما سادت لغة الجفاء فصارت مشاعره قاسية وعواطفه ناضبة؛ لذا فإن معرفة ما يجب على المسلم تعلمه خصوصاً تلك الحقوق المتعلقة بحق أخيه المسلم؛ ليكمل بذلك إيمانه، ويسلم له دينه، ويحقق ما أمره الله به من رباط الأخوة بينه وبين أفراد مجتمعه.

إن الباعث في تناول الباحثة لهذا الموضوع هو ما نعيشه في مرحلةٍ غابت فيها الحقوق والقيم، وتعددت فيها وسائل التواصل الاجتماعي، والتي كثيراً ما تجنح للتحرر من كافة الضوابط الأخلاقية والمهنية في نشر المعلومات الخاطئة، وترويج الأكاذيب والشائعات على مدار اللحظة والثانية بمقدار نطاقها الواسع العولمي، وقد تكون تلك الأخبار ملفقةً لدوافع دنيئة؛ فعملت على تنامي الشكوك ومظاهر فقدان الثقة بين الأخ وأخيه، والجار وجاره؛ ومن ثَمَّ كانت سبباً للخلاف والنزاع والشقاق والتباغض والخصومة بين ذوي الانتماءات الدينية، وإثارة البلبلة والفوضى، ولربما القتال وسفك الدماء؛ لذلك سعت الدراسة إلى البحث في الأخلاق الإسلامية التي أمرنا الله بالتحلي بها، ورسم لنا منهج العلاقات الاجتماعية بين أبناء المجتمع، ومن هذه الإشكالية اعتمدت الباحثة على المنهج التحليلي الاستنباطي؛ وذلك بتحليل الآيات المستهدفة من سورة الحجرات لاستنباط ما فيها من حق للمؤمن على المؤمن قصداً في تحقيق الأهداف المرجوة.

ولأهمية الموضوع تناولتد دراسات سابقة حيث جاءت (دراسة أم سمية، جهاد أبو اليزيد رضوان، بعنوان: الآداب الإسلامية في ضوء سورة الحجرات) وتناولت التعريف بسورة الحجرات وأسباب النزول، والتعريف بالآداب ولا سيما الآداب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما تطرقت الباحثة إلى قواعد وآداب السلوك الاجتماعي. وجاءت (دراسة وسيم فتح الله، آداب وضوابط المجتمع الإسلامي من خلال سورة الحجرات، 2019مكتبة عين الجامعة). حيث تناولت الضوابط والآداب التي وردت في سورة الحجرات، فعرفت بسورة الحجرات أولاً، ثمّ تطرقت إلى الآداب في المجتمع الإسلامي، مع السلطة التشريعية، وآداب السياسة الشرعية، من حيث التثبت من الأخبار والإصلاح بين المؤمنين وقتال البغاة، ثم تناولت أخلاق وآداب التعامل مع المسلمين، ثم ذهبت لبيان منهج السورة في تقرير آداب وضوابط المجتمع الإسلامي. وجاءت (دراسة خلف بن حمود الشغدلي، سورة الحجرات: دراسة تحليلية موضوعية، كلية التربية – جامعة حائل). حيث تضمنت التعريف بسورة الحجرات، وبيان مقاصدها، ومناسبة

السورة لما قبلها، وتوضيح تناسق آيات السورة، فبيّن الآداب التي أوردها الله سبحانه في السورة، وختم ببيان جملة الآداب الإسلامية، ومراتب الدين وبيان صفات المؤمنين.

وما يميز هذه الدراسة بأنَّها حصرت الموضوع في حقوق المؤمن على أخيه المؤمن؛ قصداً في جمع شتات المضوع في بوتقة هذه المقالة، مع شدَّة حاجة المرحلة له حيث تكمن أهمية الدراسة بأنها جاءت لتبيِّن عظمة حقِّ أخيك المسلم من حيث حفظ عرضه، ووجوب احترامه، والسعي الدؤوب في الصلح بين المسلمين عند ظهور بوادر الخلافات والخصومات، ولتكون الدراسة جسراً مهمَّاً في بيان هذه الحقوق، خصوصاً مع معرفتها والقيام بها من أثر على استقامة المسلم، وتحقيق إيمانه، وتكافل المجتمع وتماسكه؛ مما يوجب بيانها والاهتمام بها على ضوء الشرع المطهر ومقاصده العظمى.

ولاريب أن أعظم من بيّن حق المؤمن على المؤمن كتاب الله تعالى، منبع كل فضيلة وحق؛ فقد رسم المنهج والطريقة، ووضع أسس التعامل فيما بين المسلمين، وبإعمال النظر والفكر نجد سورة الحجرات من أول آية منها إلى آخر آيةٍ تتبنى تصحيح الأخلاق وتضع للمسلمين منهجاً سلوكياً ينبغي عليهم أن ينشدوه في حياتهم، وما أحوجهم لهذه الآداب الجليلة التي تزكي النفوس وتربيها تربية إيمانية يصون بها المرء حق أخيه عرضاً وكرامةً وسمعة.

وتتمثل الأهداف التي تسعى الباحثة لترجمتها في مباحث هذه المقالة في الآتي:

1- التعريف بسورة الحجرات من حيث سبب النزول والتسمية وفضلها.

2- بيان أهم الموضوعات التي تناولتها سورة الحجرات.

3- معرفة حقوق المؤمنين في ضوء دراسة سورة الحجرات.

4- توضيح منهج سورة الحجرات في تقرير آداب وضوابط المجتمع الإسلامي

## 2- وقفات بين يدي سورة الحجرات

### أولاً: التعريف بسورة الحجرات

تمثّل سورة الحجرات منهجًا تربويًا متكاملًا للمجتمع المثالي الذي رباه رسول الله -ﷺ- وما ينبغي أن يكون عليه المجتمع المسلم فيما بعد من خلقٍ عالٍ وتربية نموذجيةٍ، أثبتت للعالم أنّ الأمة الإسلامية أمّةٌ فريدةٌ، نشرت العدل حققت المساواة، وكل هذا نجده في سورة الحجرات التي بلغت آياتها ثماني عشرة آيةً، وعدد كلماتها ثلاثمئة وثلاثٍ وأربعون، وعدد حروفها ألف وأربعمئة وأربع وسبعون[2].

### ثانياً: القول في نزول السورة

سورة الحجرات مدنية بالإجماع [3] وقيل: أنها مكية في قول شاذ [4] وهو قول لا يُعرف قائله[5]؛ حتى قال ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير "فَمَن أَقْدَمَ عَلى القَوْلِ بِأَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ في مَكَّةَ دُونَ بَقِيَّةِ السُّورَةِ اغْتَرَّ بِأَنَّ غالِبَ الخِطابِ بِـ ﴿يا أيُّها النّاسُ﴾

(2) انظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، 1984م، ج13، ص320.
(3) انظر: تفسير القرآن للسمعاني (212/5)، المحرر الوجيز لابن عطية (127/5).
(4) انظر: الاتقان في علوم القرآن للسيوطي (26/1)، روح المعاني للآلوسي (198/14).
(5) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور(213/26).

إنَّما كانَ في المكِّيِّ"[6]. فالآية مدنية؛ لأنها نزلت بعد الهجرة[7]. واستدلوا على ذلك بالآتي:

- أن المكي ما نزل بمكة ولو كان بعد الهجرة، وعليه هي مكية عندهم.
- ما جاء عن عمر –♦ – قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ﴾ في الحجرات أنها مكية، وهي للعرب خاصة الموالي أي قبيلة لهم وأي شعاب، وقوله: ﴿إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات: ١٣] قال: أتقاكم للشرك" [8].
- أن النداء ﴿يأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ في السورة جاء بلفظ وهو من مميزات السور المكية على ما قرره بعض العلماء [9].

**ويجاب عليهم بالآتي:**

- أن اعتبار التقسيم المكاني في النزول اعتبارٌ فيه نظر، لعدم شموله لجميع آيات القرآن، بينما الاعتبار الزماني للتقسيم يشمل جميع آيات القرآن فهي إما نزلت قبل الهجرة وإما نزلت بعدها وهو المشهور [10].

(6) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج26، ص258.

(7) انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي (252/1)، الاتقان للسيوطي(36/1)، أسباب النزول للواحدي ص (391-395).

(8) رواه ابن مردويه في تفسيره (7/4)، وذكره السيوطي في جامع الأحاديث ح ( 29201)، وعلي الهندي في كنز العمال ح (4608).

(9) انظر: البرهان للزركشي (242/1-244).

(10) انظر: البرهان للزركشي (239/1)، الإتقان للسيوطي (20/1).

- أنّ الأثر المذكور عن عمر ♦ هو أثر لم يثبت، وعلى فرض ثبوته فإنه مخالف لما ثبت بالإجماع ولما قاله ابن عباس وابن الزبير رضي الله عنهم: أنها نزلت بالمدينة [11]، فلم يستثنوا من ذلك آية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾.

- أنّ النداء في الآية هو من خصائص السور المكية ودلائلها، فإنّ هذا هو الغالب لكن لا يمنع هذا من وروده في السور المدنية، ولكن على قلة إذا ما قورن بنداء أهل الإيمان، ولذا نجد في سورة الحجرات المدنية نداء بـ(أيها الذين ءامنوا) خمس مرات، ونداء واحد بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾. ثم إن هذا النداء عام يدخل فيه المؤمن والكافر.

قال صاحب البرهان ((12)): " إن أخذ هذا القول على إطلاقه فيه نظر فإن سورة البقرة مدنية وفيها ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعبدوا ربكم﴾.، وسورة الحج مكية وفيها: ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا﴾، فإن أراد المفسرون أن الغالب ذلك فهو صحيح؛ ولذا قال مكي: "هذا إنما هو أكثر وليس بعام" [13]، وقال الألوسي: "والحق أن هذا ليس بمطرد" [14]. ونقل الرازي عن القاضي قوله: " يجوز خطاب المؤمنين بصفتهم واسمهم وجنسهم" [15]. وقال ابن عاشور: "لم يثبت أن تلك الآية نزلت بمكة، ولم يعدها في الإتقان في عداد السور المستثنى بعض آياتها" [16].

---

(11) عزاه السيوطي في الدر المنثور (546/7) لابن مردوية (5/4) والبيهقي، وابن الضريس وابن والنحاس عن ابن عباس ♦ قال: نزلت سورة الحجرات بالمدينة.

(12) هو محمد بن عبد الله الزركشي، بدر الدين أبو عبد الله، ولد سنة (745هـ) تركي الأصل مصري المولد والوفاة، أصولي في فقه الشافعية، محرر في عدد من العلوم، من مؤلفاته: الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة ، اللآلي المنثورة في الأحاديث المشهورة، وغيرها، توفي سنة (794هـ)، انظر : شذرات الذهب لا بن العماد (355/6) والدرر الكامنة لابن حجر (397/3).

(13) البرهان (244/1-245).

(14) تفسير الألوسي روح المعاني (198/14).

(15) انظر: مفاتيح الغيب للرازي (110/10) .

(16) التحرير والتنوير لابن عاشور (213/26)، وانظر: الاتقان للسيوطي (33/1-34).

وبهذا يظهر والله أعلم أن الثابت أن آية ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ هي مدنية أيضاً.

- هذه السورة نزلت في السنة التاسعة من الهجرة، وأول آياتها في شأن وفد بني تميم الذين جاءوا للنبي ﷺ في سنة الوفود، السنة التاسعة من الهجرة على أحد الأقوال في سبب نزولها [17].

- وعدد آياتها بالاتفاق (18) آية [18]. قال ابن عاشور: "وعدَّ جميع العادِّين آيها ثمان عشرة " [19].

- هذه السورة هي بداية المفصل [20]على أحد الأقوال الاثني عشر في ذلك [21]، وقد صححه النووي [22]، وقال السمعاني في تفسيره[23]: " الأكثرون على أن المفصل من هذه السورة ".

- الحجرات ليس فيها ناسخ ولا منسوخ كما قال بذلك العلماء [24].

**ثالثاً: اسم السورة وسبب تسميتها به**

(17) انظر: جامع البيان للطبري (342/21)، معالم التنزيل للبغوي (334/7)، أسباب النزول للواحدي ص (387).

(18) انظر: الإتقان للسيوطي (135/1).

(19) تفسير ابن عاشور (26/ 213).

(20) المفصل: ما يلي المثاني من قصار السور، سمي مفصلاً لكثرة الفصول بين السور ببسم الله الرحمن الرحيم، وقيل: لقلة المنسوخ فيه، أوله فمختلف فيه إلى (12) قولاً. انظر: البرهان للزركشي (308/1)، الاتقان للسيوطي (127/1).

(21) انظر: البرهان للزركشي (309/1)، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، للجزائري (231/8).

(22) انظر: الإتقان للسيوطي (127/1).

(23) تفسير القرآن للسمعاني (212/5).

(24)انظر:البرهان للزركشي (40/2)، نواسخ القرآن لابن الجوزي ص (123) .

سورة الحجرات لها اسم واحد فقط [25]، وسبب تسميتها به ورود لفظ (الحجرات) في إحدى آياتها وهو قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاء الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: 4].

قال ابن عاشور: "سميت في جميع المصاحف وكتب السنة والتفسير سورة الحجرات، وليس لها اسم غيره، ووجه تسميتها به أنها ذكر فيها لفظ الحجرات" [26].

وقيل:" سميت بها لدلالة آياتها على سلب إنسانية من لا يعظم رسول الله غاية التعظيم، ولا يحترمه غاية الاحترام، وهو من أعظم مقاصد القرآن" [27].

**رابعاً: فضل السورة**

لا يثبت في فضل السورة حديث صحيح وكل ماورد هو بين الضعيف والموضوع ومن تلك الأحاديث:

- ما روي عن أُبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: **(من قرأ الحجرات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من أطاع الله ومن عصاه)** [28].

(25) انظر: البرهان للزركشي(337/1)، الإتقان للسيوطي(110/1) حيث لم يوردها في السور التي تعددت أسماؤها.

(26) التحرير والتنوير لابن عاشور (213/26) .

(27) هذا قول القاسمي في تفسيره محاسن التأويل (289/6).

(28) رواه الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان (69/9)، وابن مردويه والواحدي في الوسيط كما عزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (353/3) وذكره الزمخشري في تفسيره الكشاف ص (1042) والبيضاوي في تفسيره(3/ 419)، وقال المناوي في كتابه الفتح السماوي بتخريج أحاديث البيضاوي برقم (899) (1006/3): "موضوع"، وقال الفيروز آبادي في بصائر ذوي التمييز (302/1): " حديث أبي ضعيف جدا":

- وجاء عن عمر ♦ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(من قرأ سورة الحجرات خرج من قبره وهو يقرؤها حتى يدخل الجنة والناس في الحساب)** [29].

- وهي أول المفصل الذي ذكره النبي ﷺ: **(أعطيت السبع الطوال مكان التوراة، وأعطيت المائين مكان الإنجيل، وأعطيت المثاني مكان الزبور، وفضلني ربي بالمفصل)** [30].

**خامساً: مناسبة السورة لما قبلها**

لسورة الحجرات علاقة بما قبلها من سورتي محمد والفتح، يوضح ذلك قول البقاعي: "لما نوه سبحانه في القتال (محمد) بذكر النبي ﷺ في ابتدائها باسمه الشريف، وسمى السورة به، وملأ سورة محمد [31] بتعظيمه، وختمها باسمه، ومدح أتباعه لأجله، افتتح هذه باشتراط الأدب معه في القول والفعل" [32].

وقال الألوسي: "لا يخفى تواخيهما مع ما قبلها لكونهما مدنيتين ومشتملتين على أحكام، وتلك فيها قتال الكفار، وهذه فيها قتال البغاة، وتلك ختمت بالذين آمنوا،

---

(29) رواه أبو منصور في مسند الفردوس وقال ابن عراق في تنزيه الشريعة المرفوعة (306/1): "لم يذكر علته وفيه حاتم بن ميمون، قال في المغني: قال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به، وفيه أيضا محمد بن أحمد بن إبراهيم أبوالطيب المخرمي عن محمد الخزاز عن أبي الربيع سليمان بن داود، لا أعرفه".

(30) رواه أحمد في مسنده (107/4)، والطبراني في الكبير برقم (186،187) (22/75-77) والطحاوي في المشكل (154/2) والبيهقي في الشعب برقم ( 2192،2255 ) وابن جرير في تفسيره (97/1) كلهم من حديث واثلة مرفوعاً به. قال الهيثمي في مجمع الزائد (49/7) "رواه أحمد وفيه عمران وفيه عمران القطان، وثقه ابن حبان وغيره، وضعفه النسائي وغيره، وبقية رجاله ثقات" وذكره ابن كثير في تفسيره (55/1) وقال:"هذا حديث غريب، وسعيد بن بشير فيه لين"، وانظر: البرهان (307/1).

(31) هذا ما كتب في كتاب نظم الدرر للبقاعي، والذي يظهر أنه خطأ من الناسخ أوغيره، فالمقصود هنا سورة (الفتح) فإنها هي السورة التي ملئت بتعظيمه وهي التي ختمت باسمه ومدح أتباعه لأجله..

(32) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (338/7).

وهذه افتتحت بالذين آمنوا، وتلك تضمنت تشريفات له ﷺ خصوصاً مطلعها، وهذه أيضاً في مطلعها أنواع من التشريف له عليه الصلاة والسلام" (33).

وجاء في ذكر مناسبة آخر سورة الفتح بأول سورة الحجرات، أنه تعالى لما وصف النبي ﷺ وأصحابه، وقال لهم سبحانه: ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ﴾[الفتح:29] فربما صدر من المؤمن العامل للصالحات بعض شيء مما ينبغي أن ينهى عنه مما يقدح في إيمانه وينقص من عمله الصالح، فقال الله جل وعلا تعليماً للمؤمنين وتهذيباً لهم وحفظاً لإيمانهم وعملهم: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[الحجرات:1] (34) .

ولعلنا ندرك المناسبة بين السورتين (الفتح والحجرات) إذا تأملنا المواقف التي أشير إليها في سورة الفتح. فعمر ♦ لم ير أن يتم الصلح بين المسلمين وقريش، ثم موقف الصحابة من عدم التحلل من إحرامهم ونحر هديهم، بل والرسول يأمرهم وهم لا يستجيبون حتى تقدمهم ﷺ فنحر هديه ثم نحروا، وحلق رأسه ثم حلقوا، تلك المواقف المشار إليها في سورة الفتح فيها معنى تقديم الرأي بين يدي الله ورسوله وفي ذلك مضرة للمسلمين لا يعلم مداها إلا الله، فلما انتهت تلك الحال وذلك الظرف الصعب أنزل الله سورة الحجرات وفي أولها: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[ [الحجرات: 1] لا قولاً ولا عملاً ولا رأياً ولا فكراً إلا تبعاً لما قال الله ورسوله.

(33) روح المعاني للألوسي (198/14).
(34)انظر: مفاتيح الغيب الرازي (91/10)، روح المعاني الألوسي (199/14).

فعلمهم الله بذلك ما كان ينبغي أن يصدر عنهم وهم المؤمنون بالله ربّا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً، ونبياً.

## 3- موضوعات السورة

تدور موضوعات السورة حول إرشاد المؤمنين إلى مكارم الأخلاق إما مع الله تعالى أو مع رسوله ﷺ، أو مع غيرهما من المؤمنين الحاضرين والغائبين أو من الفاسقين الخارجين (35).

**أولاً**: تضمنت السورة توجيهات ربانية في تعليم المسلمين بعض ما يجب عليهم من الأدب مع الله ورسوله فلا يتقدموا بقولهم أو عملهم أو رأيهم رأي الشارع سبحانه أو رأي المبلغ عنه ﷺ. قال البقاعي: "وافتتح بالله لأن الأدب معه هو الأصل الجامع للكل، والأس الذي لا يبنى إلا عليه" (36)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي لا تفتاتوا على رسو الله - ﷺ- حتّى يقضي الله على لسانه.

"حَدَّثَنَا بِشْرٌ قَالَ: ثَنَا يَزِيدُ قَالَ: ثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} [الحجرات: ١] " ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَاسًا كَانُوا يَقُولُونَ: لَوْ أُنْزِلَ فِي كَذَا لَوُضِعَ كَذَا وَكَذَا قَالَ: فَكَرِهَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ذَلِكَ، وَقَدَّمَ فِيهِ"

"حُدِّثْتُ عَنِ الْحُسَيْنِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مُعَاذٍ، يَقُولُ: أَخْبَرَنَا عُبَيْدٌ قَالَ: سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ، يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} [الحجرات: ١]

(35) انظر: نظم الدرر للبقاعي (338/7).
(36) المصدر نفسه (7/ 220).

«يَعْنِي بِذَلِكَ فِي الْقِتَالِ، وَكَانَ مِنْ أُمُورِهِمْ لَا يَصْلُحُ أَنْ يُقْضَى إِلَّا بِأَمْرِهِ مَا كَانَ مِنْ شَرَائِعِ دِينِهِمْ»"[37].

ومن جملة الآداب التي تضمنتها كتوجيهات وإرشادات في التعامل مع النبي في الخطاب والنداء عد رفع الصوت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: 2]، وهنا أودّ أن أبيّن في هذا الموضع إلى أنّ التوجيه إلى هذا الأدب لا يقتصر على رفع الصوت الحسي بوجود النبيّ –ﷺ– كما يظهر من النص فالإنسان يتوجب عليه ألّا يرفع صوت عقله وأفكاره على ما جاء به النبيّ –ﷺ– فهذا أشدّ قبحًا وحرمة عند الله –ﷻ– .

**ثانياً:** ومن جملة الارشادات التي تضمنته سورة الحجرات تعليم المسلمين ضرورة التثبت في نقل الخبر خاصة إذا جاء عمن عُرف بالفسق؛ لأنّ ذلك يترتّب عليه بناء أمور عظيمة على أخبارٍ غير دقيقة، فلا نهمل خبر الفاسق مطلقًا ولا نعتمد عليه بثقةٍ مطلقة، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

**ثالثاً:** تعليم المسلمين بعض ما يجب عليهم نحو إخوانهم من المسلمين، وهذا وما قبله هو موضوع بحثنا هنا حق المؤمن على المؤمن.

**رابعاً:** التنبيه على طريق المجد الحقيقي في الدنيا والآخرة، إنها الطريق التي تجمع بين الإيمان والعمل الصالح، وبهما يعلو مقامه عند الله تعالى، لا بنسب ولا حسب ولا لون، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[الحجرات: ١٣]، فالإيمان ليس كلمة جوفاء إنما هو عقيدة في القلب

[37] الطبري، أبو جعفر بن جرير، تفسير الطبري جامع البيان، تح عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط1، 2001، ج21 ص335.

تترجم إلى سلوك عمليٍّ في أرض الواقع تقوم بها الجوارح بالتكليف، وبهذا تكون السورة قد ختمت بإظهار شمول علم الله، حتى يحذر الناس من أفعالهم لأنّ الناقد عليم بصير.

## 4- دلالة الأسلوب الإنشائي

إنّ المدقق في سورة الحجرات من الناحية الأسلوبية يجد بروز الأسلوب الإنشائي بشكل واضح، والذي تمثل بكثرة في أسلوب النداء (يأيها الذين آمنوا)، وأسلوب النهي (لا تقدموا)، (لا ترفعوا)، (ولا تجهروا له بالقول)، (لا يسخر)، (ولا تلمزوا)، (ولا تنابزوا)، (ولا تلمزوا)، وفي أسلوب الأمر (فتبينوا)، (واعلموا)، (فأصلحوا)، (فقاتلوا)، (واتقوا)، وجاء الأسلوب الإنشائي في سبعٍ وعشرين موضعًا، بينما نجد الأسلوب الخبري جاء في عشر مواضع من آيات سورة الحجرات. كقوله تعالى (واعلموا أن فيكم رسول الله، وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان، المؤمنون إخوة، والله غفور رحيم) بمعنى أنَّ الأسلوب الخبري في نصوص الوحي يتضمن حقائق ولو كانت غيبية كالإخبار عن اليوم الآخر، والايمان بالله وملائكته، والحشر والصراط، والجنة والنار، وتضمنت الجمل الخبرية رسائل بشرى ومسرة أو تحذير ووعيد، بينما الجمل الإنشائية تضمنت تكليفاً بفعل أو ترك؛ ولهذا جاء الأسلوب الإنشائي في السورة كثيراً من أجل يتوافق مع المقاصد التربوية الإلهية التي تضمنتها السورة المباركة؛ الأمر الذي لفت ذهن الباحث إلى تعقب الأسلوب الإنشائي بخاصة في سورة الحجرات وبيان أثره على مقاصد السورة بعامة.

إن اعتماد آي السورة المباركة على الأساليب الإنشائية المتنوعة ما بين (النداء، والأمر، والنهي)، مع التقليل من المعاني الجمالية المؤثرة والتي تتضمنه الجمل الخبرية عادة؛ الأمر الذي ينمّ عن أن المقاصد القرآنية الكائنة في السورة المباركة اعتمدت على إثارة ذهن المتلقي بعامة والمؤمن بخاصة لتنفيذ المقتضى التشريعي الممثل في (افعل ولا تفعل)، وهذا

ما يمكن الإشارة إليه تفصيلاً في معرض بيان مراد الآيات المباركة بحسب تفصيل العربية لجمالياتها وفق مقتضى موضوعي للسورة القرآنية.

إن من ينظر لسورة الحجرات بنظرة غير المتأنية، قد توحي له أن هذه السورة قد اشتملت على عدد من الموضوعات المتفرقة، بينما النظرة المتأنية المتأملة تصل بصاحبها إلى أن السورة تتناول موضوعًا واحدًا، تتفرع عنه عدة موضوعات مترابطة، يجمعها التجانس والتلاحم بين أولها وآخرها مرورًا بالتناسق اللفظي لآياتها المباركة؛ الأمر الذي يبرهن على تلمس الوحدة الموضوعية للسورة من خلال معالجتها لقضايا أساسية في حياة المسلم، بدأت موضوعها بقضية الإيمان وآداب المعاملة عبر ترابط مضمون آياتها الذي يؤدي إلى المضمون الآخر دون تعارض أو تنافر، و يمكن بيان ذلك كما يلي:

فمن اللمسات الجمالية في سورة الحجرات استهلالها بنداء الحق – سبحانه وتعالى – للمؤمنين والمتمثل في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ التي تكررت في السورة المباركة (٥) مرات في مقابل نداء الناس جميعا بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ فما دلالة تغير الخطاب؟

جاء قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ على خصوص خطاب المؤمنين خاصة، بينما قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ فجاء على عموم الخطاب للناس (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ) هذه ليست للذين آمنوا وإنما لكل الناس، هذا ليس خاصاً بالمؤمنين ، ليؤكد النسق الأسلوبي في السورة المباركة على عنايتها بسرد أحكام للمؤمنين، لا شك و أن المراد القرآني عني بتوجيه المؤمنين إلى أمر جلل وفق إطار تعليمي و تربوي إلهي.

## 5– ما ورد للمؤمنين من حقوق في ضوء سورة الحجرات

اعتنت سورة الحجرات بالحديث في أحد موضوعاتها عن تعليم المؤمنين الحقوق الواجبة لإخوانهم وهي من الآداب العامة التي أرشدت لها السورة بعد ذكر الآداب الخاصة مع الله تعالى ورسوله، وجاء ذلك في مقاطع متعددة سأقوم ببيانها وفقا لورودها في السورة الكريمة، وهذه الحقوق كما يلي:

## أولاً: حق التثبت من الأخبار المسيئة للمؤمن

إن التثبت من الأخبار قبل تصديقها، فضلًا عن إذاعتها، منهج قرآني أصيل، يُستراحُ به من القال والقيل، ويوفر من طاقة الأمة المهدرة في الفتن ما يفيد في البناء.

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦)} [الحجرات: ٦]، وقال -عزَّ وجل-: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٩٤)} [النساء: ٩٤]

والفتن إنما تظهر بالإشاعات والبواطيل، وتنتشر بالقال والقيل، مع خفة عقلٍ في نَقَلَتِها، ورِقَّةِ دين، تمنعهم من امتثال أمر الله تعالى بالتثبت وترك الاستعجال.

ولتجدنَّ أشدَّ الناس حِدَّة في الطبع، وإعجابًا بالنفس، وتعصبًا للرأي؛ هم أولئك الذين لا يتثبتون ولا يتبيَّنون، فيغلب عليهم الصَّلَف والكِبْر، وعدمُ مراعاة الناس، والجميع عندهم جَهلة لا يعلمون، وهم العارفون العالمون.

إن حملَ المسلمين على العدالة هو الأصل الذي لا ينبغي العدول عنه إلاَّ بمثله من اليقين، أما بمجرد قُوْلٍ قيل لا يُدرى من أي رأس خرج ولا على أي أرض درج؛ فجريمة يُسأل صاحبها عنها، مفضية إلى الندامة في الدنيا قبل الآخرة.

وعليه؛ فإن من أعظم ما تُدفع به الفتن: التثبت والتبيُّن في الأخبار، لا سيما إذا كان الخبر متعلقًا بعموم الأمة، أوبرأس من رؤوسها، وليعلم أن مجرد الثقة في الناقل لا تكفي بمفردها؛ وذلك لما يعتري النفوسَ من الهوى والشهوة ونفث الشيطان.

ثم لو فرض صحة الخبر يقينًا، فإنه يبقى بعد ذلك النظر في مصلحة نشره من عدمها، فإنه ليس كل ما يعلم يقال، وإن من الأخبار ما لا يُلقى إلاَّ إلى الخاصة الذين يُصلحون في الأرض ولا يفسدون.

وليعلم –أيضًا– أن هتكَ الأستار، ليس من الإصلاح في شيء؛ إذ إن الله تعالى أمر بالستر والنصح، وأَمْرُه سبحانه هو الصلاح والإصلاح بعينه، فما خالفه فليس من الإصلاح في شيء كما قلنا.

ولا سيما إن كانت الأخبار قد وردت على لسان فاسقٍ، ويظهر هذا الحق في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾[الحجرات:6].

وقد قرأ الكسائي (فتثبتوا) و" المراد من التبين التعرف والتفحص، ومن التثبت: الأناة وعدم الاستعجال في تصديقها، والتبصر في الأمر الواقع والخبر الوارد، حتى يتضح ويظهر"(38).

يقول ابن جرير –رحمه الله– في معنى الآية: "أمهلوا حتى تعرفوا صحته ولا تَعجلوا بقبوله. . . لئلا تصيبوا قومًا براء مما قذفوا به بجهالة منكم (فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) يقول: فتندموا على إصابتكم إياهم بالجناية التي تصيبونهم بها"(39).

(38) فتح القديرللشوكاني (71/5).

(39) جامع البيان للطبري (22/ 286، 287).

والمؤمن يجب عليه امتثال أمر الله عز وجل في الفحص والتثبت من الأقوال والأفعال، والاستيثاق من مصدرها دون تعجل؛ لتظهر له جلية واضحة، لا غموض فيها ولا التباس، فيبني تصرفاته وأحكامه على حقٍّ واقعٍ لا على ظنٍّ لا يُغني من الحقّ شيئًا، وهو بذلك سيجني فوائد عظيمةً أهمها:

- الاستجابة لأمر الله في القيام بأحد الحقوق الواجبة عليه نحو أخيه المؤمن.
- السير على هدي النبي الكريم في التثبت والأناة ومراعاة حق المؤمنين.
- كما "أن الأناة تعينه على وضع الأمور في مواضعها، بخلاف الاستعجال؛ فإنها تعرضه لكثير من الأخطاء والإخفاق، والتعثر، والارتباك، والخلط (40)"
- أيضا سيجني علاقة قوية متماسكة بينه وبين المؤمنين فيكون كما وصف النبي (**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا– وشبك بين أصابعه–**)[41].
- بل وتتضح بذلك رزانته وعقله حيث جنب المؤمنين الشرور العظيمة من وراء عدم التثبت مما يقال عن فلان أو فلان.

ويؤكد خطورة التعجل في استعجال الحكم على الناس وعدم التثبت ما جاء عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: "كان رجل في غُنيمة له؛ فلحقه المسلمون فقال: السلام عليكم، فقتلوه وأخذوا بتلك الغنيمة؛ فأنزل الله في ذلك قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[

(40) فقه الدعوة للقحطاني (528/1).

(41) أخرجه البخاري في صحيحه ،كتاب المظالم والغصب ، باب نصرة المظلوم ، ح ( 2446)، ومسلم في صحيحه ،كتاب ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم ، ح(2585/65).

النساء:94]"[42]."، أي: لا تقولوا بغير تدبر لمن حياكم بتحية الإسلام أو من ألقى إليكم مقاليد الاستسلام والانقياد لست مؤمنًا، وإنما أظهر ما أظهر متعوذًا؛ بل اقبلوا منه ما أظهره وعاملوه بموجبه[43]. فلا يجوز للمؤمن التعجّل في الحكم على الناس لاسيما بالكفر قبل التبين والتثبت، فإن باب التكفير خطير، ومنزلقه عظيم.

ومنهج التثبت منهج نبوي، فقد كان ❐ أعظم الناس أناةً وتثبتاً، والأمثلة كثيرة ومنها:

- أنه ❐ كان لا يقاتل أحداً من الكفار إلا بعد التأكد بأنهم لا يقيمون شعائر الإسلام، فعن أنس بن مالك ♦(**أن النبي ❐ كان إذا غزا بنا قوماً لم يكن يغزو بنا حتى يصبح وينظر، إذا سمع أذاناً كفّ عنهم، وإن لم يسمع أذاناً أغار عليهم ...** )[44].
- وفي حادثة الإفك تثبت النبي ❐ مما قيل في عائشة رضي الله عنها لما استعجل الناس في اتهامها وتلقفوا بألسنتهم ما قيل عنها؛ " فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ❐ بَرِيرَةَ- جارية عائشة-فَقَالَ: (**أَيْ بَرِيرَةُ هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيبُكِ مِنْ عَائِشَةَ؟**) قَالَتْ لَهُ بَرِيرَةُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُّ أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا، أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ". وفي الرواية أنه دخل على عائشة رضي الله عنها فقال: (**أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً، فَسَيُبَرِّئُكِ اللهُ وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبٍ، ثُمَّ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ**)[45].

---

42) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ،باب لاتقولوا لمن ألقى إليكم السلم ،ح (4591).

(43) انظر:تفسير الطبري (70/9)، التفسير الوسيط للواحدي (102/2).

(44) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان ، باب مايحقن من الدماء بالأذان ، ح( 610).

(45) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة ، باب في حديث الإفك ، ح(2770/56).

- كما أكد النبي على ضرورة التثبت وعدم الاستعجال في بعض الأحاديث الواردة عنه، من ذلك قوله□:(**كفى المرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع**)[46].قال ابن الجوزي:"كذبا أي تكذيبا. وذلك لأن من حدث بكل ما سمع من غير أن يميز بين ما تقبله العقول مما لا تقبله، أو من يصلح أن يسمع ما يحدث به ممن لا، نسب إلى الكذب"[47].

وغير ذلك كثير جاء في هذا الباب وإن المتأمل لواقع الناس اليوم، ويرى الكم الهائل من الأخبار لاسيما على وسائل التواصل الاجتماعي، ويرى الاختلاف بين هذه المصادر في نقل الخبر يدرك سمو تشريعات هذا الدين ورعايتها لحقوق الناس وأولهم المؤمنين، ووجوب التزامها؛ لنحظى جميعا بالسلامة.

**ثانياً: حق الصلح بين المؤمنين**

إنّ المجتمع الإسلامي كغيره من المجتمعات التي تدفع الطبيعة البشرية بأبنائها مجانبة الصواب، فتحصل الضغينة والشحناء، وتكون السبب في وقوع الخصومة والشجار، وقد تصل إلى الاقتتال أحيانًا، فحُقّ على المؤمن أن يُصلح بين أخويه، ويظهر هذا الحق جليا في قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[الحجرات: ٩ -10].

(46) أخرجه أبو داود في سننه ،كتاب ، باب في التشديد في الكذب ، ح رقم (4992) ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود .

(47) كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي (3/ 550-551).

فبعد أن حذر الله من خبر الفاسق وطلب التثبت والتأني في الحكم على المؤمن كحق له، أبان هنا ما يترتب على خبر الفاسق من الفتنة والنزاع وربما الاقتتال ، فأمر بالمصالحة بين المؤمنين حتى لو قاتلوا الفئة الباغية حتى ترجع.

قال الشافعي رحمه الله:" فذكر الله اقتتال الطائفتين، وأمرنا بالإصلاح بينهم، فحق أن لا يقاتلوا حتى يُدعوا إلى الصلح، وأمر بقتال الباغية وهي مسماة باسم الإيمان حتى تفيء إلى أمر الله، فإن فاءت لم يكن لأحد قتالها، والفيء: الرجعة عن القتال كالهدنة أو التوبة أو غيرها، وأمر إن فاءت أن يصلح بينهما بالعدل"(48).

فالصلح بين المؤمنين المتخاصمين قائم على أساس العدل المطلق بينهم، وهو حق أوجبتهم الإخوة في الدين التي علل الله تعالى بها ضرورة الإصلاح بينهم فقال: ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ  إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: ٩ – 10] والأخوة رابطة متينة؛ وعلاقة وثيقة؛ توجب على المرء السعي في خير أخيه؛ فيعينه على الخير ويقف معه في الحق، ويمنعه من الشر إن أراده أو سلك طريقه. وهذا ما دعا إليه النبي حينما قال: **(انصر أخاك ظالما أو مظلوما)**(49).

فالصلح إذن حق للمؤمنين بعضهم على بعض، ويكون بدعوة الأطراف إلى التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله، ومَن يبغي منهم وجب قتاله؛ حتى يعود إلى أمر الله ويكف عن الظلم، فإن عاد عومل بالعدل وما تستوجبه الأخوة في الدين بينهم.

(48) تفسير الإمام الشافعي (1272/3) باختصار.

(49) أخرجه البخاري في صحيحه ،كتاب المظالم ، باب انصر أخاك ظالما أو مظلوما ،ح (2443).

قال ابن عاشور: " وهذا إصلاح ثان بعد الإصلاح المأمور به ابتداء. ومعناه: أن الفئة التي خضعت للقوة وألقت السلاح تكون مكسورة الخاطر شاعرة بانتصار الفئة الأخرى عليها فأوجب على المسلمين أن يصلحوا بينهما بترغيبهما في إزالة الإحن والرجوع إلى أخوة الإسلام لئلا يعود التنكر بينهما." (50)

والإصلاح ليس مرهونا فقط بحالة القتال بين المؤمنين بل ولو في أدنى اختلاف يحصل بينهم وجب الإصلاح، لأنه من مقتضيات الأخوة الإيمانية، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات:10] . قال ابن كثير: " وهذا تحقيق منه تعالى للرحمة لمن اتقاه"(51) وفعل ما أمره الله به من الإصلاح بين المؤمنين.

ولا شكّ أنّ نشر الصلح خير من الشقاق، وهو يأتي في مصلحة المجتمع ككل، حتى أنّ هذه الشعبة الإيمانية تستلّ الضغائن بها، وتخمد نيران الفتن، فجعل الإسلام إصلاح المؤمن بين أخوته هدف من أهداف الحياة الدنيا، حتى تصبح الأمّة متماسكةً، كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

**ثالثاً: حق الاحترام للمؤمن**

قال تعالى مقررا هذا الحق: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[الحجرات:11].

ففي هذه الآيات أدب الله المؤمنين بآداب رفيعة وهي:

(50) التحرير والتنوير، لابن عاشور(242/26).
(51) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير (376/7).

**أولاً: النهي عن السخرية بالمؤمنين واحتقارهم وازدرائهم والاستهزاء بهم**

ويتواصل البناء النصي في السورة المباركة في عرض آداب المؤمنين فيما بينهم والمتمثلة في موقف آخر يمثل منفذ من منافذ الشيطان لإيقاع الوقيعة فيما بين المؤمنين والمتمثلة في السخرية التي تسبب حالة من التناحر بينهم، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات:11].

فبدأ الله هذه الآية بذكر الصفة الموجبة للتعامل الراقي والأدب العالي بين المؤمنين وهي صفة الإيمان، فحقّ المؤمنين بعضهم على بعض رجالا ونساء أن لا يسخر منهم بأي صورة كانت ، فرب ساخرٍ اليوم يكون سخرية للآخرين غدا، ورب مفضول اليوم يكن فاضلا غدا، كما أن " مناط الخيرية في الفريقين ليس ما يظهر للناس من الصور والأشكال ولا الأوضاع والأطوار التي عليها يدور أمر السخرية غالبًا بل إنما هو الأمور الكامنة في القلوب فلا يجترئ أحد على استحقار أحد فلعله أجمع منه لما نيط به الخيرية عند الله تعالى فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله تعالى والاستهانة بمن عظمه الله تعالى"(52).

والسخرية المنهي عنها هنا تعمّ جميع أنواع السخرية، قال الطبري رحمه الله:" والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله عمّ بنهيه المؤمنين عن أن يسخر بعضهم من بعض جميع معاني السخرية، فلا يحلّ لمؤمن أن يسخر من مؤمن لا لفقره، ولا لذنب ركبه، ولا لغير ذلك"(53).

(52) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (121/8).
(53) جامع البيان ، للطبري (298/22).

وأفرد الله النساء في النهي عن السخرية رغم دخولهن في النهي الأول؛ لكثرة وقوع ذلك منهن، وحتى لا يظن أنهن غير داخلات في النهي الأول، وقيل: بل لأن لفظ (قوم) تخص الرجال فأفرد النساء بعدهم بالنهي[54]؛ فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ [الحجرات:11].

"ولا يقتصر النهي على جماعة الرجال والنساء، وإنما يشمل الأفراد؛ لأنّ علّة النهي عامة، فتفيد عموم الحكم لعموم العلة "[55].

قال ابن عثيمين: "يعني يكفي المؤمن من الشر أن يحقر أخاه المسلم، وهذا تعظيم لاحتقار المسلم، وأنه شر عظيم، لو لم يأت الإنسان من الشر إلا هذا، لكان كافيًا، فلا تحقرن أخاك المسلم، لا في خلقته ولا في ثيابه ولا في كلامه ولا في خلقه ولا غير ذلك، أخوك المسلم حقه عليك عظيم فعليك أن تحترمه وأن توقره، وأما احتقاره فإنه محرم، ولا يحل لك أن تحتقره، وكذلك حديث ابن مسعود وحديث جندب بن عبد الله رضي الله عنهما كلاهما يدل على تحريم احتقار المسلم، وأنه لا يحل له حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما حدث بحديث ابن مسعود، أنه لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر، قالوا يا رسول الله: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا ظن الصحابة رضي الله عنهم أن الإنسان إذا تلبس لباسًا حسنًا وانتعل نعلًا حسنًا"[56]

فالسخرية مرضٌ عضال، وشر يفرق القلوب، ويوغر الصدور ويذكي نار الفتن، ونهى الله عنها؛ لأنها رذيلة خسيسة، وصفة قبيحة، تدلّ على لؤم الطبع وفساد التربية،

(54) انظر: أنوار التنزيل ،للبيضاوي (136/5)، فتح القدير للشوكاني (75/5).

(55) التفسير المنير،للزحيلي (252/26).

[56] ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين، ج6، ص260.

وانحطاط الأخلاق، فالمؤمن لا ينظر إلى الشكل أو اللون أو المهنة أو المستوى المادي، إنما يعامل الناس كما يحبّ أن يعامل، وبذلك تسود المحبة والمودة في المجتمع.

## ثانيا: النهي عن لمز المؤمن

قال تعالى: ﴿وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات:11]، قال الزجاج رحمه الله: "يقال: لَمَزْتُ الرجُلَ أَلْمِزُهُ بكسر الميم، وأَلْمُزُه بِضَم الميم إِذَ عِبْتُهُ، وكذلك هَمَزْتُه أهمزُه إِذا عِبْتُه"[57]. وفرق غيره فجعل اللمز: العيب في الحضور، والهمز: العيب في الغيبة [58]، وذهب الطبري رحمه الله إلى أن اللمز العيب بالقول والهمز العيب بالفعل[59].

وأياًكانت مفهوم اللمز فإن الشارع ينأى بالمؤمنين عن فعله لإخوانهم؛ والحر يأنف اللمز بغيره، ويؤلمه في نفسه ؛ لأنه يكون بذلك عاب نفسه فقد قال سبحانه: ﴿وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات:11]،" فجعل اللامز أخاه لامزا نفسه، لأنّ المؤمنين كرجل واحد فيما يلزم بعضهم لبعض من تحسين أمره، وطلب صلاحه، ومحبته الخير"[60]، "وقيل: لا تفعلوا ما تلمزون به، لأن فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه حقيقة"[61].

(57) معاني القرآن، للزجاج (455/2).
(58) تصحيح الفصيح ،لابن المرزبان ،ص (431).
(59) انظر: جامع البيان، للطبري (534/23).
(60) المصدر نفسه (298/22).
(61) فتح البيان، للقنوجي (145/13).

والعدول في الآية من الغيبة إلى الخطاب " مبالغة في التوبيخ وإشعاراً بأنّ الإيمان يقتضي ظنّ الخير بالمؤمنين والكفّ عن الطعن فيهم وذب الطاعنين عنهم كما يذبونهم عن أنفسهم"(62).

هذا هو الواجب في التعامل مع إخوة الإيمان؛ وبذلك ينجو المؤمن من صفة كريهة من صفات الكافرين الجاهلين الذين توعدهم الله لكثرة همزهم ولمزهم بالويل والثبور فقال: ﴿ويلٌ لكلِّ هُمزةٍ لُمزة﴾[الهمزة:1].

والفرق بين الهمز واللمز كما قال المبرد: "الهمز هو أن يهمز الإنسان بقول قبيح من حيث لا يسمع أو يحثه ويوسده على أمر قبيح أي يغريه به، واللمز أجهر من الهمز وفي القرآن هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ولم يقل لمزات لأن مكايدة الشيطان خفية"

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: المشهور عند الناس إن اللمز العيب سرا، والهمز العيب بكسر العين وقال قتادة: يلمزك في الصدقات يطعن عليك وهو دال على صحة القول الأول.

## ثالثا: النهي عن التنابز بالألقاب

قال عز شأنه: ﴿وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات:11]. قال السمعاني:" النبز واللقب بمعنى واحد. ومعنى النبز هاهنا: هو اللقب المكروه الذي يكره الإنسان أن يدعى به"(63).

(62) أنوار التنزيل، للبيضاوي (101/4).

(63) تفسير القرآن، للسمعاني (222/5).

واللقب: هو ما يدعى به الشخص من لفظ غير اسمه وغير كنيته، وهو قسمان: قبيح، وهو ما يكرهه الشخص لكونه تقصيراً به وذماً؛ وحسن، وهو بخلاف ذلك، كالصديق لأبي بكر، والفاروق لعمر، وأسد الله لحمزة، رضي الله تعالى عنهم.[64]

ثم إن التنابز بالألقاب التي هي مما يؤذي الناس، إذ يحمل معنى التحقير والإهانة، نهى الله عنه، وجعله من المحرمات، وجعله من الفسوق والظلم، وربما يصل التنابز بالألقاب إلى مستوى الشتيمة، كالنبز بالحمار والثور والكلب ونحو ذلك.

ومن شأن التنابز بالألقاب أنه يقطع أواصر الأخوة الإيمانية، ويفسد المودات ويولد العداوات والأحقاد، وربما يوصل إلى التقاتل مع ثورات الغضب وهيجان الحماقات.

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١١]: "من لقب أخاه وسخر به فهو فاسق. والسخرية الاستحقار والاستهانة، والتنبيه على العيوب والنقائص يوم يضحك منه، وقد يكون بالمحاكاة بالفعل أو القول أو الإشارة أو الإيماء أو الضحك على كلامه إذا تخبط فيه أو غلط أو على صنعته أو قبيح صورته"[65].

فلا يجوز تلقيب الإنسان بما يكره أو بما فيه ذم له، فتقول له مثلاً: يا فاسق، يا فاجر، يا كافر، يا سارق، يا زاني، لا تفعل هذا؛ لأنك إذا نبزته باللقب فإما أن يكون اللقب فيه، وإما لا، فإن كان فيه فقد ارتكبت هذا النهي، وإن لم يكن فيه فقد بهتَّه وارتكبت النهي أيضاً.

---

[64] أبو حيان، الأندلسي، تفسير البحر المحيط، (ج٨/ ص٧٩).

[65] الهيتمي، ((الزواجر عن اقتراف الكبائر)) (ج٢/ ص٣٤) .

ويستثنى من ذلك أن يشتهر بلقب لا يسوءه، فيجوز إطلاقه عليه كالأعمش والأعرج وغيره[66]. أما الألقاب المحمودة فتجوز ولا تدخل في هذا.[67].

والتنابز بالألقاب هو من السُّخْرِية، وأيضا الهَمْز واللَّمْز، ومِن ثمَّ يكون ذكرهم بعد ذكر السُّخْرِية من قبيل ذكر الخاصِّ بعد العام، اهتمامًا به وتفصيلا له.

وإنّما نهى الله عن السخرية واللمز والتنابز بالألقاب؛ لأنّ فعلها فسوق بعد الإيمان يستوجب التوبة من فاعلها[68]، وقيل في معناه: بئس أن يسمى المؤمن فاسقا بعد أن كان مؤمنا[69].

## رابعاً: حق حفظ عرض المؤمن

من الظنون السيئة والتهم الباطلة والتجسس والغيبة، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات:12].
فبدأت الآية بتذكير المؤمنين بالإيمان الذي وقر في صدورهم؛ مما يستوجب عليهم اجتناب المنهيات المذكورة في الآية، ولفتا لأهمية ذلك إذ هذه المنهيات مما لا يتفطن لها من عُومل بها فلا يدفعها. وأول هذه المنهيات:

### أولاً: النهي عن ظن السوء بالمؤمن

(66) انظر: جامع أحكام القرآن للقرطبي (329/16).
(67) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (150/4).
(68) انظر: جامع البيان للطبري (302/22) ورجحه، والوجيز للواحدي ص (1018) واختاره ، ومعالم التنزيل للبغوي (261/4).
(69) انظر: تفسيرالقرآن للسمعاني (224/5) واختاره، ومعالم التنزيل للبغوي (261/4).

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات:12]. "والظن هنا: هو مجرد التهمة التي لا سبب لها كمن يتهم غيره بشيء من الفواحش ولم يظهر عليه ما يقتضي ذلك، وأمر سبحانه باجتناب الكثير ليفحص المؤمن عن كل ظن يظنه حتى يعلم وجهه"[70]؛ فيميز الظن الحق من الباطل.

فلا يجوز للمؤمن الظن السيء بأخيه ممن ظاهره الصلاح والخير؛ وعلة ذلك النهي (إنّ بعض الظن إثم)؛ " فإنّ أسرار القلوب، لا يعلمها إلا علام الغيوب، فليس لك أن تعتقد في غيرك سوءا إلا إذا انكشف لك بعيان لا يقبل التأويل"[71].

وفي الحديث: **{إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث}**[72] قال الخطابي: "إياكم وسوء الظن وتحقيقه دون مبادئ الظنون التي لا تملك"[73]. ومراده أن الظن المحرم ما يستمر صاحبه عليه ويستقر في قلبه دون ما يعرض في القلب ولا يستقر فإن هذا لا يكلف به. وهذا حق المؤمن على المؤمن أن يظن به خيرا ﴿لولآ إذ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ"﴾[النور:12].

قال عمر بن الخطاب: (لا يحل لامرئٍ مسلم سمع من أخيه كلمة أن يظن بها سوءاً، وهو يجد لها في شيء من الخير مخرجاً).[74]

(70) فتح القدير للشوكاني (76/5).

(71) محاسن التأويل للقاسمي (535/8).

(72) أخرجه البخاري في صحيحه ،كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، ح(6064)، ومسلم في صحيحه ،كتاب،باب تحريم الظن ،ح (2563/28).

(73) معالم السنن للخطابي (123/4).

[74] ذكره ابن عبدالبر في ((التمهيد)) (١٨/ ٢٠).

وقال ابن عباس رضي الله عنه: (ما بلغني عن أخٍ مكروهٌ قطّ إلا أنزلته إحدى ثلاث منازل: إن كان فَوقي عرفتُ له قدره، وإن كان نظيري تفضّلت عليه، وإن كان دوني لم أحفل به. هذه سيرتي في نفسي، فمن رغب عنها فأرضُ الله واسعة)[75].

فالظنّ السيء يوقع العداوة والبغضاء بين أبناء المجتمع، فعلى المسلم أن يحرص ألّا يرمي أخاه المسلم بسهام ظنّه الخبيثة، ولا يأخذ بالظاهر بل يتحقق قبل أن يتحدث بما دار في نفسه من ظنون.

## ثانياً: النهي عن التجسس

وجاء ذلك بعد النهي عن الظن فقال: ﴿وَلا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات:12]. وكأن التجسس خطوة تالية للظن السيء. ومعنى التجسس: تتبع عورات المؤمن والبحث عن معايبه وأسراره [(76)].

وقد نهى الله المؤمن عن تتبع عورات أخيه؛ لما فيه من المفسدة والإثم العظيم؛ فعن معاوية♦قال: " سمعت رسول الله ❐ يقول: **{إنك إن اتبعت عورات المسلمين أفسدتهم، أو كدت أن تُفسدهم}**[(77)] ،وقال رسول الله❐:**{يا معشرَ من آمنَ بلسانِهِ**

---

[75] ذكره ابن مفلح في ((الآداب الشرعية)) (٢/ ١٣) وعزاه إلى أبي حفص العكبري في ((الأدب)

(76) انظر: جامع البيان للطبري (304/22) ، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي (43/2).

(77) أخرجه أبو داود في سننه ،كتاب الأدب ، باب في النهي عن التجسس ، ح(4888).قال الأرناؤوط :" إسناده صحيح".

**ولم يدخُلِ الإيمانُ قلبَهُ، لا تغتابُوا المسلمين، ولا تتبِعوا عوراتِهم، فإنَّه من اتَّبعَ عوراتِهم يتَّبِعِ اللهُ عورتَهُ، ومن يتَّبعِ اللهُ عورتَهُ يفضَحْهُ فى بيتِه}**(78).

"والحديث فيه تنبيه على أنّ غيبة المسلم وتتبع عورته من شعار المنافق لا المؤمن، ومن فعل ذلك (يتّبع الله عورته) ذكره على سبيل المشاكلة؛ أي يكشف عيوبه وهذا في الآخرة، وقيل: معناه يجازيه بسوء صنيعه"(79).

قال ابن عثيمين: "أما من فُتن ـ والعياذ بالله ـ وصار يتتبع عورات الناس، ويبحث عنها، وإذا رأى شيئاً يحتمل الشر ولو من وجه بعيد طار به فرحاً ونشره، فليبشر بأن من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته فضحه ولو في جحر بيته"

ولا شك أن التجسس يعظم أمره ويشتد إذا ترتبت عليه مفسدة عامة تضر بمصالح المؤمنين أو تعين عدوهم عليهم.

## ثالثا: النهي عن الغيبة

شدد الله في النهي عن الغيبة فقال: ﴿وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات:12]، والغيبة فسرها النبي❐ لما قال: {**أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟** قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: **ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**، قِيلَ:

(78) أخرجه أحمد في مسنده ح (19776) ،وأبو داود في سننه ،كتاب الأدب، باب في الغيبة ، ح (4880) . قال العراقي في المغني ص ( 1034) : " إسناده جيد " وقال الأرناؤوط:( حديث صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن في المتابعات والشواهد).وصححه الألباني بشواهده في السلسلة

(79) عون المعبود للعظيم آبادي ( 153/13) باختصار.

أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: **(إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ}**(80).

قال الطيبي رحمه الله:" الغيبة من أقبح القبائح وأكثرها انتشارا بين الناس، حتى لا يسلم منها إلا القليل من الناس. وذكرك فيه بما يكرهه عام، سواء كان في بدنه، أو دينه، أو دنياه، أو نفسه، أو خلقه، أو ماله، أو ولده ...أو غير ذلك مما يتعلق به، سواء ذكرته بلفظك أو كتابتك، أو رمزت أو أشرت إليه بعينك أو يدك أو رأسك ونحو ذلك. وضابطه أن كل ما أفهمت به غيرك نقصان مسلم، فهو غيبة محرمة، ومن ذلك المحاكاة بأن تمشي متعارجا أو مطأطئا، أو غير ذلك من الهيئات مريدا حكاية هيئة من تنتقصه بذلك"(81).

وشنع الله على المغتاب فعله بأن كنى فعله بأكره ما تكرهه النّفوس فقال: ﴿وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات:12].

"فإنه كنّى عن الغِيبة بأكل الإنسان لحم إنسان آخر مثله، ثم لم يقتصر على ذلك حتى جعله ميتا، ثم جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة. فأما جعل الغيبة كأكل الإنسان لحم إنسان آخر مثله فشديد المناسبة جدا؛ لأنّ الغيبة إنما هي ذكر مثالب الناس وتمزيق أعراضهم، وتمزيق العرض مماثل لأكل لحم الإنسان لحم من يغتابه؛ لأنّ أكل اللحم تمزيق على الحقيقة، وأما جعله كلحم الأخ فلما في الغيبة من الكراهة؛ لأنّ العقل والشرع مجتمعان على استكراهها، آمران بتركها والبعد عنها، ولما كانت كذلك جعلت بمنزلة لحم الأخ في كراهته، ومن المعلوم أن لحم الإنسان مستكره عند إنسان

(80) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب تحريم الغيبة ، ح(2589/70).
(81) شرح المشكاة للطيبي (3118/10).

آخر، إلا أنه لا يكون مثل كراهته لحم أخيه، وهذا القول مبالغة في استكراه الغيبة، وأما جعل اللحم ميتا فمن أجل أن المغتاب لا يشعر بغيبته ولا يحس بها، وأما جعله ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة، فلما جبلت عليه النفوس من الميل إلى الغيبة والشهوة لها مع العلم بقبحها"[82].

والمعنى: "كما كرهتم أكل لحم الميت فاكرهوا الغيبة لإخوانكم"[83]، وفي هذا تأكيد لتحريم الغيبة، لأن أكل لحم الأخ المؤمن محظور، ولأن النُّفوس تَعافُه، والعقول لا تستسيغه، فينبغي أن تكون الغِيبة بمنزلته في الكراهة[84] كما أنها فعل الجاهلية.

وقد رخّص الشارع في الغيبة في مواضع محددة منها: التظلم، والاستعانة على تغير المنكر، والاستفتاء، والتنفير من مجاهر بالفسق، والتعريف بشخص، والنصح للمسلمين وتحذيرهم[85].

وختم الله الآيات بالدعوة إلى تقوى الله والتوبة إليه: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات:12]، أي اتقوا الله فلا تفعلوا ما نهاكم عنه في الآية، وتوبوا إليه فإنه رحيم بكم لا يؤاخذكم بالذنب مع توبتكم منه [86] .

وبهذه البيان الرباني لحق المؤمن على المؤمن في سورة الحجرات، يجمع الله قلوب المؤمنين ويؤلف بينهم على كريم الصفات ومحاسن الأخلاق، وينهى عن كل ما يخدش ثوب الأخوة من قول وفعل سيء، ويقيم حصنًا حصينًا حول حرمات المسلمين فلا تحلل،

(82) المثل السائر لابن الأثير (62/3).
(83) تفسير مقاتل (96/4).
(84) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (152/4).
(85) حجة الله البالغة للدهلوي، ص(856).
(86) انظر: جامع البيان للطبري (309/22).

وكراماتهم فلا ينال منها، وأعراضهم فلا تنتهك، وتظهر بها عظمة هذا الدين في رعايته حقوق المؤمنين.

## 6- الخاتمة

الحمد لله الذي منّ علي بختام هذا البحث الذي كان من أهم نتائجه ما يلي:

1- سُميت سورة الحجرات بهذا الاسم بسبب ورود لفظ الحجرات في إحدى آياتها، وليس لها اسم غيره.

2- تضمنت سورة الحجرات وجوب حفظ الحقوق فيما بين المسلمين كحقّ التثبت من الأخبار المسيئة للمؤمن وفحصها وعدم الاستعجال في تصديقها، والتبصّر في الأمر حتّى يتضح ويظهر.

3- من حق المؤمن على أخيه عدم إساءة الظن به، والاجتناب عن غيبته، أو تتبع عوراته؛ لما فيها من المفاسد والإثم العظيم، ولأنها صفات قبيحة ومذمومة.

4- أمر الله بالإصلاح بين المؤمنين، بناء على موازين العدل والعودة لكتاب الله وسنة نبيه -❐-، وأوجب قتال من يبغي منهما، حتى يعود إلى أمر الله ويكفّ عن الظلم.

5- بروز الأسلوب الإنشائي بشكل واضح، وتمثل بكثرة في أسلوب النداء (يأيها الذين آمنوا)، وأسلوب النهي (لا تقدموا)، (لا ترفعوا)، (ولا تجهروا له بالقول)، (لا يسخر)، (ولا تلمزوا)، (ولا تنابزوا)، (ولا تلمزوا)، وفي أسلوب الأمر (فتبينوا)، (واعلموا)، (فأصلحوا)، (فقاتلوا)، (واتقوا)؛ لأنه يخدم المقاصد التربوية الإلهية التي تضمنتها السورة المباركة.

## التوصيات:

1- الاعتناء بدراسة الحقوق التي تضمنتها سور القرآن الكريم، ومنها سورة الأحزاب وتضمين هذه الحقوق في المناهج المدرسية حتى ترتبط بالتربية، وينشأ أبناؤنا عليها، فيكونون أحفاد الصحابة ممن رباهم رسول الله -ﷺ-.

2- العمل حتى نشر هذه الحقوق التي وردت في سورة الحجرات بين أبناء المجتمع عبر الندوات التلفزيونية ووسائل التواصل الاجتماعية، ومنابر المساجد حتى يتمثلوها، وتكون منهجهم في الحياة.

3- صناعة تطبيق يسهم في التعريف بالحقوق بكافة أنواعها، على اعتبار أنّ الأجهزة الإلكترونية هي الأكثر استخدامًا في عصرنا الحالي، ووضع رقابة بطريقة ما على مستخدميها لعدم إيذاء الآخرين دون معرفة الجاني.

**وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين**

## المصادر والمراجع


- **الإتقان في علوم القرآن** للسيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، ضبطه وصححه: محمد هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط (1)، 1421هـ -2000م.

- **أسباب النزول** للواحدي علي بن أحمد، تحقيق: عصام الحميدان، دار الإصلاح، الدمام – المملكة العربية السعودية، ط (2)، 1412هـ – 1992م.

- **البرهان في علوم القرآن** للزركشي محمد بن عبد الله، تعليق وتخريج: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، ط (بدون)، 1422هـ -2001م.

- **تفسير ابن رجب الحنبلي**، لأبي الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، جمع وتعليق: طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة، الرياض، المملكة، ط (1)، 1422هـ -2001م.

- **تفسير ابن عاشور (التحرير والتنوير)**، لمحمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر تونس، ط (بدون)، ت (بدون).

- **تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)**، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الرياض– المملكة، ط (1) 1422هـ -2002م.

- **تفسير أبو السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)**، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي الحنفي، وضع حواشيه: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط (1) 1419هـ - 1999م.

- **تفسير الألوسي (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)**، لأبي الفضل محمود الألوسي البغدادي، قرأه وصححه: محمد حسين العرب، دار الكفر، بيروت — لبنان، ط بدون، ت (بدون).

- **تفسير البغوي (معالم التنزيل)**، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد النمر وآخرون، دار طيبة، الرياض- المملكة – ط (2) ، 1414هـ - 1993م.

- **تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)**، للإمام الفخر الرازي، إعداد: مكتب تحقيق دار إحياء التراث، بيروت- لبنان، ط (4) ، 1422هـ -2001م.

- **تفسير السمعاني (تفسير القرآن)**، لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار الشافعي، تحقيق: أبي تميم وأبي بلال، دار الوطن، الرياض- المملكة، ط (1) ، 1418هـ -1997م.

- **تفسير الشوكاني (فتح القدير)** للشوكاني محمد بن علي بن محمد الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، (1) ، 1414 هـ

- **تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)**، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار عالم الكتب، الرياض- المملكة، ط (1)، 1422هـ-2003م.

- **تفسير القرطبي (الجامع لأحكم القرآن)**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: الحفناوي ومحمود عثمان، دار الحديث، القاهرة، ط (بدون)، 1423هـ - 2002م.

- **المفردات في غريب القرآن**، للراغب الأصفهاني، ضبطه: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط (1) 1418هـ - 1998م.

- **لسان العرب**، ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، تح اليازجي، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.

- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، لأبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، الطبعة الهندية.